

أسباب فتوح الغزنوي في الهند ومعالمها الدعوية

Cuases of Ghaznawi's Conquests in India and its Preaching Milestones**Dr. Mir Akbar Shah**

Assistant Professor, Faculty of Usuluddin, International Islamic University, Islamabad.

Abstract

The Islamic conquests have expanded and Islam has spread across the globe from the beginning of Islam, while in The Land of India, the conquests of Muslims had started during the reign of the Guided Caliphs, including the "Muhallab" attack of the southern areas of Khyber Pakhtunkhwa, thus being considered the first of the Muslim invaders in India.

The land of Sind was conquered by Muhammad bin Qasim, hence the rays of the light of Islam spread in Sindh and some areas of India in the first century, but most of the Indian territories were still under the Indian pagan majority and under Indian kings.

However, the invaders did not exceed the borders of Kabul and Sindh, except the Ghaznavids, when Prince Subaktagin captured Ghazni, and other Afghan lands of Kabul, Laghman, etc in the late 4th century, thus he opened the gateway to India for those after him especially his son, Mahmud.

The first conquest of the ruler of Ghazni was in Peshawar, Khyber Pakhtunkhwa in 1001 AD, and then followed by conquests in central and south India and lasted for more than twenty years. These conquests are famous and prominent, for their dynamic impacts.

These conquests, in terms of their causes and objectives, are suspected by some Muslims and distorted by non-Muslims and have concealed their steps and features in terms of Islamic Da'wah. The questions raised here are: What are the causes and objectives of these conquests? Has it had a moral effect on spreading the call of Islam? And what steps have been taken for that? And what were its features?

This paper aims to study these questions and to explain the causes of these conquests and uncover some doubts about them. And to highlight the milestones of the peaching of Islam and steps are taken in this regard.

Keywords: Cuases, Mahmud Ghaznawi, Conquests, India,



أهمية الموضوع:

قد اتسعت الفتوحات الإسلامية وانتشر الإسلام في أرجاء المعمورة بدءاً من أوائل الإسلام، أما بلاد الهند فقد بدأت غزوات المسلمين في ثغورها في عهد الخلفاء الراشدين، ومن بينها غزوة المهلب بن أبي صفرة أرض الهند حيث وصل إلى "بنة" و"الاهوار"، وهما بين ملتان وكابل، وبذلك يعتبر أنه أول من وطئ أرض الهند من المسلمين، وأما من جاء قبله من الغزاة، فلم يتجاوز أحد سجستان (أفغانستان الجنوبية) وحدود مكران.

أما أرض السند فدخلها محمد بن القاسم من طريق مكران وفرنبور إلى ديبيل، ففتحها، وافتتح بلاد السند إلى الملتان، وأوغل في بعض بلاد الهند راجعا يعارك مرة ويصالح أخرى، وانتشرت أشعة الإسلام في السند وبعض بلاد الهند منذ هذا الفتح في القرن الأول، لكن أغلب بلاد شبه القارة سوى المنصورة والملتان ما زالت تحت الأغلبية الوثنية الهندية وفي ظلّ الملوك الهنود.

لكن لم يتجاوز بعد محمد بن قاسم من الغزاة حدود كابل وماء السند أحد إلا الغزنويون حين استولى الأمير سبكتكين على غزنه والبلاد الأفغانية من كابل وما جاورها في أواخر القرن الرابع الهجري، وعظم أمر سبكتكين وذاع صيته، فأثر الغزو، وطرق لمن بعده في توهين جانب الهند طرقاً سلكها ابنه يمين الدولة محمود.

وكان أول فتوح السلطان الغزنوي في بشاور خيبر بختونخوا الحالية سنة 392هـ، ثم تابعت الفتوح الغزنوية إلى كوالبور في وسط الهند، وإلى السند وغوجرات في جنوبها، واستمرت أكثر من عشرين سنة، والفتوح التي تمت لمحمود الغزنوي في بلاد الهند مشهورة وبارزة، ولها صيت قديماً وحديثاً، فقد قهر ملوك الهند قهراً، وأزال العوائق في طريق الناس إلى نور الإسلام، كما حارب أهل الفساد والعصاة وولاية الخبث.

مشكلة البحث وأهدافه:

إنّ هذه الفتوحات من ناحية أسبابها وأهدافها مشتبهة عند المسلمين ومشوّهة عند غير المسلمين، كما أنّها خفيت خطواتها ومعالمها من ناحية الدعوة الإسلامية. والأسئلة المطروحة هنا أن ما هي أسباب هذه الفتوح وأهدافها؟ وهل كان لها تأثير معنوي من نشر دعوة الإسلام؟ وما الخطوات المتخذة لذلك؟ وما ذا كانت معالمها؟ وانطلاقاً من هذه الأسئلة يهدف البحث إلى:

- بيان الأوضاع الدينية في هذه البلاد قبل الفتوح الغزنوية.
- إيضاح أسباب الفتوحات وكشف بعض الشبهات حولها.
- إبراز الخطوات والمعالم الدعوية لهذه الفتوح.

الدراسات السابقة:

1- السلطان محمود الغزنوي سياسته ودوره في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية لعلي محمد فريد: رسالة جامعية من قسم التاريخ والحضارة في جامعة عدن سنة 2003م.

تناولت هذه الدراسة أمرين: سياسة الدولة الغزنوية داخلياً وخارجياً، ونشر الإسلام في الهند. لكن هذه الدراسة حول نشر الإسلام مقتصره على دور الفتح الغزنوي في نشر المذهب السني وذكر بعض الآثار الحضارية لهذا

الفتح.

2- جهود السلطان محمود في نشر الإسلام السني في أواسط آسيا، إيران، أفغانستان والهند لأحمد الجوارنة: مقال نشر في مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، سنة 1996م.

يظهر من عنوانه أنه يتناول الجهود في نشر الإسلام السني، وإزالة العنصر الفارسي من السياسة وإيقاف المدّ الشيعي في المشرق.

كما تُوجد عدة دراسات عن فتوحات السلطان محمود الغزنوي في بلاد الهند، لكنها مقتصرة بالجانب العسكري فحسب دون الجانب المعنوي للفتوح، كما أنها غير متناولة لأسباب الفتوح بشكل تفصيلي.

أما هذه الدراسة فهي خاصة ببيان أسباب الفتوح وإبراز التأثير المعنوي من ناحية نشر الدعوة الإسلامية ومعالها في هذا العهد. والدراسة شاملة على التمهيد ومبشرين:

أما التمهيد فيشتمل: سيرة مختصرة للسلطان محمود، وأوضاع الهند الديني والاجتماعي، والمبحث الأول يتناول أسباب فتوح الغزنوي بشكل تفصيلي، مع كشف بعض الشبهات الواردة حولها، وفي المبحث دراسة الخطوات العملية المتخذة للفتح المعنوي، والمعال الدعوية الإسلامية لهذه الفتوح.

سيرة مختصرة للسلطان محمود الغزنوي:

كان السلطان محمود عاقلاً، دِيناً، متعبداً، وكان من عظماء ملوك الدنيا، واتسعت مملكته إلى بلاد الهند، ولقد عَظُمَ أمرُه بفتحها عِظْماً، وقهر ملوكها قهراً كبيراً، وامتألت خزائنه من أصناف الأموال والجواهر، وصُنِّفَ له كثير من الكتب، وكان يُكرم العلماء، ويُعظِّمهم، وكان عادلاً مع الرعية، كثير الإحسان والرفق بهم، كما كان ملازماً للجهاد، كثير الغزوات، وقد توفي الملك الكبير المجاهد الغازي، محمود بن سبكتكين سنة إحدى وعشرين وأربعمائة (1).

أول من تجاوز من الغزاة حدود كابل وماء السند:

تابع السلطان محمود الغزنوي سلسلة الفتوحات الإسلامية لأرض الهند والسند التي بدأت في عهد الخفاء الراشدين، فيذكر المؤرخون العرب من بين الغزوات الإسلامية الأولى غزوة المهلب بن أبي صفرة أرض الهند سنة 44 هـ حيث وصل إلى بنة والاهوار، وهما في سفح جبل كابل بينه وبين ملتان، وبذلك يعتبر أنه أول من وطئ أرض الهند من المسلمين (2).

واستمرت إلى نهاية القرن الهجري الأول بعد دخول محمد بن القاسم أرض السند سنة 92هـ، وفتوحه فيها إلى الملتان (3) ولم يتجاوز بعد محمد بن القاسم من الغزاة حدود كابل وماء السند أحد إلا الغزنويون، كما يذكره البيروني ويقول: " وإن لم يتجاوز بعده من الغزاة حدود كابل وماء السند أحد إلى أيام الترك حين تملكوا بغزته بقيادة سبكتكين، فأثر الغزو، وطرق لمن بعده في توهين جانب الهند طرقاً سلكها يمين الدولة محمود" (4). فأحيا روح الجهاد بعد ما توقفت الفتوح الإسلامية في الشرق ثلاثة قرون كاملة.

تعدّد ملوك الهند، واختلاف مللها، ووضعها الاجتماعي:

وأهل الهند ملوكهم متعدّدة، وانفرد كل رئيس بناحية، فلأرض القنوج ملك، ولأرض كشمير ملك، ولويهند ملك يسمى بالبهري، وهو أعظم الملوك، وبين هذه الممالك تباين وحروب، ولغاتهم مختلفة، والغالب على هذه البلاد

أسباب فتوح الغزنوي في الهند ومعالمها الدعوية

الكفر إلا أن فيها المسلمون، وبمملكة بلهرا مساجد يجتمع فيها الجمعات، والمنصورة⁽⁵⁾ أهلها مسلمون، ملكها من قريش غير أنّ الخطبة لبني العباس، ومدينة الملتان مجاورة لبلاد الهند، وحكامها يخطبون للفاطمي⁽⁶⁾.

واختلفت ملل أهل الهند؛ فمنهم من يثبت الخالق والرسول، ومنهم من ينفي الرسل، ومنهم النافي لكل ذلك، ويتكلم ابن الفقيه عن أساس ديانات أهل الهند، والأكثر يقول بالتناسخ، وتَنقُل الأرواح، ويختلفون في فروع دينهم، والتناسخ علم النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يعدّ من جملتها⁽⁷⁾.

وأهل الهند أربع أجناس؛ البراهمة، والكسترية، والبشيشية والشودر، و"البراهمة" عليها، وهم نقاوة الجنس، وتتلوهم "كشتر"، ودوغم "بيش"، وهاتان المرتبتان متقاربتان، ثم أصحاب المهن دون هؤلاء، ويسمّون "أنتر" وهم منفيون منحطون، وإتّما يشتغلون بتنظيف القرى وخدمتها⁽⁸⁾.

أما عادات ورسوم أهل الهند، فهم يقتلون ما أرادوا أكله ولا يذبحونه، ... ولا يغتسلون من جنابة، ولهم السحر وإباحة الزنا، وعندهم رسم القحاب والفجور تقرّباً إلى الخالق، ويعرفون بقحاب البد⁽⁹⁾. ومن عادات أهل الهند أنّهم لا يخلقون شيئاً من الشعر، ويحسّون بول البقر ولا يأكلون لحمها، ويتسولون بالعمائم، ويتضمّخون في الأعياد بالأحشاء بدل العطر، ويلبس ذكورهم ملابس النساء والأسورة وخواتيم الذهب، ويتوجهون نحو الحائط في الغائط، ويكشفون السوءة نحو المار، ويتيمّنون بالضرّطة⁽¹⁰⁾.

المبحث الأول

أسباب فتوح الغزنوي لبلاد الهند وكشف الشبهات حولها

قد كانت بلاد الأفغان الشرقية والمناطق الأخرى من الهند المجاورة لإقليم خراسان وإن كان وصل إلى بعضها الإسلام في القرن السابع الميلادي بيد بعض الفاتحين الأوائل أمثال سنان بن سلمة رضي الله عنه ومهلب بن أبي صفرة ومحمد بن قاسم وغيرهم، لكنها ما زالت تحت سيطرة الملوك الهنود إلى القرن العاشر الميلادي.

جاء الأمير سبكتكين وابنه محمود الشهير بسليطان غزنة، فكانت أول الفتوح بيد الأمير سبكتكين سنة 382هـ في لغمان وماجاورها من القلاع الحصينة، كما كان أن أول فتوح السلطان الغزنوي في بشاور الشمال الغربي في باكستان الحالية سنة 392هـ/1001م، ثم تابعت الفتوح لشمال الهند وشمالها، واستمرّت أكثر من عشرين سنة إلى أن تمّ فتح سومنات أعظم أصنام الهنود، وذلك كان سنة 416هـ.

تنقل الأتراك إلى جنوب نهر بلخ، واستيلاء الأمير سبكتكين على غزنة وكابل:

وفي سنة 350هـ تنقل البتكين قائد جيوش خراسان مع جماعة من الأتراك القادمين من التركستان إلى جنوب نهر بلخ، وذلك لوقوع خلافه مع أمير خراسان الذي عزله، وولى قيادة الجيش إلى أبي منصور، وأمره أن يذهب إلى بلخ، فلم يرض البتكين أن يكون عاملاً بأيّ حال بعد أن كان قائد الجيوش، فخرج من نيشابور مع خواص غلمانه وكانوا سبعمائة، وكان البتكين قد عبر، فوجد من ذخائر أبي منصور الكثير، فأغار عليها القواد، وحملوا كل ما كان هناك. وأخرج أبو منصور جيشاً وراءه، وقدم في أثر البتكين، وكان البتكين قد وصل إلى شاطئ النهر، ولما رأى البتكين ذلك أشعل النار في المعسكر حتى احترق كله. ثم قال لخواص غلمانه: انظروا، فأمامكم طعن السيوف والسجن والمصادرة، ومن خلفكم القتل والأسر والسيوف، ومن الصواب أن نذهب إلى بلخ، فنجح في عبور نهر بلخ،

وقدم البتكين إلى تخارستان، ومن هناك ذهب إلى غزنيين وظل بها فترة، وكان آخر عهده بها (11).

واستولى الأمير أبو منصور سبكتكين على غزنة وگرديز وپروان وكابل وبست، وتلك هي الولاية التي كانت مع غلمان قراتكين، وعظم أمر سبكتكين وذاع صيته (12).

أسباب غزوات الأتراك الغزنويين للهند:

يشير ابن فضل الله العمري م 749 هـ إلى أسباب فتوح الغزنوي: "وسيوف الأمير لا تخرج عن هذه الأقسام، سيفه بظاهر هراة فيمن عطل الحد، وأتم بأنه ارتد، وسيفه بظاهر غزنة في وجه العقوق، نوعا من الكفر والفسوق، وسيفه بظاهر مرو فيمن نقض بعد تغليظه، ونبد اليمين بعد تأكده، وسيفه بظاهر سجستان فيمن تبّه الحرب بعد رقادها، وخلع الطاعة بعد قبولها، وسيفه الآن في ديار الهند سيف قرنت به الفتوح، وأثنت عليه الملائكة والروح، وذلت به الأصنام، وعزّ به الإسلام" (13).

السبب الأول: العوائق في طريق الإسلام وإزالتها:

كان السبب الأساسي هو وجود العوائق في طريق الناس إلى الإسلام، فكان هدف الغزوات هو إزالة هذه العوائق، وهذا على وجه العموم، ثم كل غزوة لها سبب خاص، فما غزوا غزوة إلا وله سبب مرتبط بالهدف الإسلامي. ويظهر ذلك مما حكى المؤرخون لنا من اقتحام الغزنوي في مفازة "تھر" الواسعة المتباعدة الأطراف، ومن غزوه لأودية قيرات ونور صعبة الطرق والمسالك.

فيحكي الجرديزي عن غزوة سومنات من طريق مفازة تھر: وحينما حل الشتاء ذهب جريا على عرفه وعادته إلى الهندوستان للغزو، فقد حكوا أمامه: أنه على ساحل المحيط مدينة عظيمة يسمونها سومنات، ولكن طريقه وعر مخوف بالمخاطر مليء بالمصاعب" (14).

ويشير ابن الأثير إلى سببها وصعوبتها: "كان يمين الدولة كلما فتح من الهند فتحا، وكسر صنما يقول الهنود: إن هذه الأصنام قد سخط عليها سومنات، ولو أنه راض عنها لأهلك من تقصدها بسوء، فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه وإهلاكه ظنا منه أن الهنود إذا فقدوه، ورأوا كذب ادعائهم الباطل، دخلوا في الإسلام، وفي طريقه إلى الهند برية قفر، لا ساكن فيها، ولا ماء، ولا ميرة. فتحجز هو وعسكره على قدرها، ... فلما قطع المفازة رأى في طرفها حصونا مشحونة بالرجال" (15).

كما حكى الجرديزي ما واجهوا من المتاعب عند الرجوع من سومنات: "وفي هذا الطريق لحقت بالجيش كثير من المتاعب من كل نوع، سواء من ناحية جفاف الصحراء وحشونتها، أو من ناحية (قبائل) الجت في السند، واستشهد الكثير من جيوش المسلمين في هذا الطريق" (16).

ويحكي الجرديزي فتح الغزنوي أودية وغان ونورستان وقيرات أماكن محكمة ومن دور الكفر، فيقول: ثم أخبروا الأمير يمين الدولة أن هناك واديين يسمون أحدهما قيرات والآخر نور، وهي أماكن محكمة وأهلها كفار وعبداء أصنام، فقصد يمين الدولة هذين الواديين بجيش، وأمر فراق الجيش عمال كثيرون من الحدادين والنجارين وقاطعي الأحجار، فعبّدوا الطرق وقطعوا الأشجار والأحجار (17).

ويشير ابن الأثير عند ذكر غزو الهند إلى سببه: "وسبب ذلك أنه لما اشتغل بأمر خراسان وملكها، وفرغ منها

أسباب فتوح الغزنوي في الهند ومعالمها الدعوية

ومن قتال خلف بن أحمد، وخلا وجهه من ذلك، أحب أن يغزو الهند غزوةً تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين، فثنى عنانه نحو تلك البلاد، فنزل على مدينة برشور " (18).

الناحية الاقتصادية وشبهتها باعتبارها هي الدافع الأساسي:

يعتبر بعض المؤرخين الناحية الاقتصادية هي السبب الأساسي الموجب لغزوات الهند، فنقول: إن هدف الغارات على البلاد عند الغزاة قد يكون السيطرة على الأراضي، أو جمع الأموال، أو قتل الناس، وغير ذلك، وهذا الهدف يختلف حسب طبيعته الشخصية ومواقفه العسكرية والشهادات التاريخية، أما بنسبة غزوات يمين الدولة محمود فكل هذه الأمور تشهد على خلاف ما يقال عنه.

ولو كانت هدف السلطان محمود من غزواته هي مجرد جمع الأموال فحسب، لكان قبل ما عرض عليه الهنود بالأموال الطائلة من افتداء صنم سومنات، ولما ردّ عليهم بقوله المشهور بأنه يُؤثر أن يصفه الناس بأنه مكسّر الأصنام على أن يقولوا عنه بأنه بائع الأوثان.

كما يقصّ ابن كثير علينا كلمته الذهبية في ذلك، حيث قدّم الهنود للسلطان محمود أموالاً كثيرة كي يترك لهم "سومنات" صنمهم الأعظم، وأشار بعض الأمراء عليه أن يأخذ الأموال ويبقي لهم الصنم لهم، فاستخار الله عز وجل، وفكّر في الأمر المذكور، ورأى أن يقال له أنه كسر الصنم أحبّ إليه من أن يقال: أنه ترك الصنم لأجل ما يناله من المال، ثم عزم فكسره، فوجد عليه وفيه من المال والذهب والجواهر ما يزيد على ما قدموه له بأضعاف مضاعفة (19).

والغنائم التي كان يحصلها الغزنوي في غزواته كانت تقسّم بين الجيش دون أن يقتنيها لنفسه، وأما الخمس الباقي فكان يأتي به إلى بيت المال.

ولم يكن الغزنوي مسرفاً في تلك الأموال، فلم تذهب أموال خزانة بيت المال إلا في إعداد الجيش، وأرزاق العلماء والشعراء، وبناء المساجد والمدارس والجسور وغيرها.

السبب الثاني: إزالة الشعار الوثني وأسباب كسر الأصنام:

معابد الكفار القديمة في الأرض التي يفتحها المسلمون لا يجوز هدمها إن كان الفتح صلحاً، على أن تكون للمسلمين وشرط الكفار إبقاء معابدهم. وأما إذا كانت بأرض يفتحها المسلمون عنوة، أو فُتحت بصلح مُطلقٍ يجوز لإمام المسلمين هدمها، ويجوز إبقاؤها، ويفعل الإمام ما هو الأصلح للمسلمين. وتخيير الإمام في هدمها أو إبقائها حسب المصالح، والمصالح قد تكون دينية مثل كونها علة الفتنة من الشرك والقبائح، وقد تكون سياسية وعسكرية مثل كونها مراكز للمقاومة أو كونها مواضع لجمع الأموال فتُنفق في أعمال الحرب وغير ذلك من المصالح.

يحكي سبط ابن الجوزي تمني السلطان محمود قلع صنم سومنات الفتان: "كان العبد يتمي طول عمره قلع هذا الوثن الفتان، ويطلب فيه فرصة الإمكان، ويستقصي عن ممالكها، ويخبر عن مفاوزها، وصعوبة مسالكها، فاستخار العبدُ الله تعالى في الانتداب لهذا الواجب"

كما يشير إلى العلة لقمع هذا الصنم الذي كان سبباً للعقائد الباطلة: "وكان لهم صنمٌ عظيم يقال له: سومنات، وهو أعظمُ أصنامهم، وجاهروا بأنه يُحيي ويُميت، وأنه إذا شاء أبرأ من جميع العلل، ويزعمون أن الأرواح إذا

فارت الأقسام اجتمعت لديه على مذهب التناسخ، فينشئها فيمن شاء قبل الولادة، ... فكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجونه من كل صقع بعيد، ويأتونه من كل فج عميق" (20).

أولاً: لكونها شعاراً للوثنية وإزالة الأوهام أنها تضر وتنفع:

وقد كسر عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه الصنم عند فتح زرنج عاصمة سجستان لإزالة أوهام الشرك كما يذكره البلاذري: "ودخل على الزور، وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان، فقطع يده، وأخذ الياقوتتين، ثم قال للمزبان: دونك الذهب والجوهر، وإنما أردت أن أعلمك أنه لا يضر ولا ينفع" (21). كذلك أحرق قتيبة بن مسلم أصناما بيده قيل أن من استخف بها هلك، كما يروي البلاذري: "وكانت الأعاجم تقول: أن فيها أصناماً من استخف بها هلك، فلما حرقها قتيبة بيده أسلم منهم خلق" (22).

ويشير الكرديزي إلى أن السلطان محمود سمع عن تانيسر مكان أصنام كثيرة وعن مكانة هذه البقعة عند الهنادكة وتقديسهم تقديساً عظيماً، وأنه يوجد في هذه المدينة معبد عتيق به صنم يسمونه چكرسوم، فلما سمع السلطان عن هذا الصنم تملكته الرغبة في هدم هذا المعبد، والاستيلاء على هذه الولاية، كي يحصل الأجر الجزيل على ذلك (23).

وحكي ابن خلدون أوهام أهل الهند في سومنات وأنه غاضب عليهم، ولو كان راضياً عنهم لأهلك محموداً دونه، فاعتزم محمود إلى غزوة، وتكذيب دعاويهم في شأنه (24).

ثانياً: لكونها مراكز المقاومة:

المعابد الهندوكية كانت بمثابة مراكز المقاومة للهنود وقت الحروب، كما كانت تتخذ مواضع جمع الأموال التي كان يُنفق منها على أعمال الحرب، ومن البديهي أن محموداً لم يكن ليخاطر بعبور صحراء مهلكة مثل صحراء تهر مجرد تحطيم صنم أو الاستيلاء على أموال.

كما قال الدكتور أحمد السادتي: "فواقع الأمر أن هذا المعبد كان أخطر مراكز المقاومة والعدوان الهندوكي، كما كان يُتخذ في الوقت نفسه مثابة للأموال التي كان يُنفق منها على الأعمال الحربية" (25).

ويحكي ابن الأثير مقاومة أهل سومنات ثقة بمعبودهم: "فلما كان الغد، فنصب المسلمون عليه السلام، وصعدوا إليه، فحينئذ اشتد القتال، وتقدم جماعة الهنود إلى سومنات، فعفروا له خدودهم، وسألوه النصر، وأدركهم الليل فكفت بعضهم عن بعض. فلما كان الغد بكر المسلمون إليهم وقاتلوهم، فأكثروا في الهنود القتل، وأجلوهم عن المدينة إلى بيت صنمهم سومنات، فقاتلوا على بابه أشد قتال، وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخلون إلى سومنات فيعتنقونه ويبيكون، ويتضرعون إليه، ويخرجون فيقاتلون إلى أن يقتلوا، حتى كاد الفناء يستوعبهم، فبقي منهم القليل" (26).

ويحكي القزويني أن السلطان يمين الدولة، محمود بن سبكتكين، لما غزا بلاد الهند سعى سعياً بليغاً في فتح سومنات وتخريبها، طمعاً بدخول الهند في الإسلام، فوصل إليها سنة ست عشرة وأربعمائة، فقاتل الهنود عليها أشد القتال، وكان الهند يدخلون على سومنات ويبيكون ويتضرعون، ثم يخرجون إلى القتال فقتلوا، حتى استوعبهم الفناء (27).

ثالثا: لكونها مخبأ الكنوز والأموال فتصرف في أعمال الحرب:

وأمر الأمير محمود، ... وحطم هذه الأصنام وأحرقها وأبادها، واقتلعوا الصنم منات من جذوره، وفتتوه، ووضعوا بعض أحجاره على أظهر الدواب وأحضرها إلى غزنين، وهي ملقاة حتى الآن على أبواب مسجد غزنين، وكان هناك كنز تحت الأصنام فاستولوا عليه (28).

يحكي الكرديزي ذهاب السلطان إلى قلعة ماتوره (Mathura): "حينما وصل الأمير محمود إليها لم يتقدم أحد لحربه مطلقا، ووجد الأمير محمود في معابد تلك الديار وخزائنها أموالا تفوق العد والحصر، ووجد قطعة من الباقوت الكحلي تزن أربعمئة وخمسين مثقالا، أما الأصنام التي كانت من الذهب والفضة فكانت لا حد لها ولا قياس، وأمر الأمير محمود، فكسروا صنما ذهبيا، ووزنه فكان وزنه ثمانية وتسعين ألفا وثلاثمئة مثقال من الذهب المصقول" (29).

رابعا: لكونها مواضع المنكرات وسبب الاستيصال:

هذه المعابد والأصنام كانت مواضع القبائح والمنكرات حيث أشار إليه ابن الأثير بقوله: "ثلاث مئة رجل يخلقون رؤوس زواره ولخاهم، وثلاث مئة رجل وخمس مئة أمة يغنون ويرقصون على باب الصنم، ولكل واحد من هؤلاء شيء معلوم كل يوم" (30).

وفوق ذلك أن هذه المعابد كانت وسيلة لاستيصال الرعية وجمع أموالهم كما يشير إليه ابن خلون: "وكانوا يقربون إليه كل نفيس وذخائرهم كلها عنده، ويعطون سدنته الأموال الجلييلة، وكان له أوقاف تزيد على عشرة آلاف ضيعة" (31).

السبب الثالث: عداوة الهند والأترك، وإيقاف مد مملكة الهند (هندو شاهي):

كانت أطراف شرقي طخارستان أثار ومروج يسكنها أجناس الترك، وكانت عرضة لهجمات الهنود من جهة الجنوب، وكان الأترك يتحاربون عليها معهم، فكان لأهل بلخ وطرخار عداوة مع الهند، ولو لم تكن دونها صدا منيعا في صورة جبال "هندوكوش" الخشنة لكان سيطرة حكم الهنود ممتدا إلى آسيا الوسطى، ولذلك سمي هذا الجبل قاتل الهنود.

يذكر المقدسي م 355هـ عداوة أهل بلخ والهند عند ذكر الثغور وما لكل قوم عدوا: "وعدو أهل كرمان البلوص، وعدو أهل بلخ وباميان وجوزجان الهند، وأهل خراسان عدوهم الترك" (32).

ويشير أبو الحسن المغربي محاربة أترك طخار مع الهند: "وفي شمالي سجستان، بلاد طخارستان، وفي أطرافها أثار ومروج تسكنها أجناس الترك ويتحاربون عليها مع الهنود، فإنها تليهم من جهة الجنوب" (33).

كما يذكر الإدريسي محاربة أهل القندهار ملك كابل: "ومن مدينة القندهار إلى مدينة نهرارة خمس مراحل يسير العجل، وأهل القندهار يحاربون ملك كابل" (34).

السبب الرابع: غدر جيبال وتحرير البلاد الأفغانية من سيطرته:

وقد قام بتحرير قلاع لغمان الأمير سبكتكين سنة 382هـ من خطر الهنود. وكما ذكر سابقاً أنّ بلاد الأفغان الشرقية والمناطق المجاورة لخراسان - مع ورود بعض الفاتحين الأوائل فيها- ما زالت في سيطرة من الملوك الهنود إلى القرن العاشر الميلادي إلى أن جاء الأمير سبكتكين وابنه محمود.

فكانت أول الفتح بيد الأمير سبكتكين سنة 382هـ في لغمان وماجاورها، حيث افتتح قلاعاً حصينة على شواهد الجبال، واستولى على گرديز وپروان وكابل، وعظم أمر سبكتكين وذاع صيته (35).

ولما خاف ملك الهند جييال من تملك بلاده من الأطراف، حشد وجمع، وسار نحو ولاية سبكتكين، فالتقوا واقتتلوا أياماً كثيرة، ثم أرسل إلى سبكتكين يطلب الصلح، فأجابهم إليه، واستقرّ الصلح على مال يؤدّيه، وبلاد يسلمها، لكن جييال غدر، وجمع العساكر، وسار في مائة ألف، فلقية سبكتكين، وبدأ أصحابه يتناوبون القتال، فضاق الهنود من استمرار القتال معهم، وحملوا حملة واحدة، وحمل المسلمون أيضاً جميعهم، فانهمز الهنود، وذلّوا بعد هذه الواقعة، ورضوا بأن لا يطلبوا في أقاصي هذه البلاد، وقد كانت هذه البلاد يسكنها قبائل الأفغان والخلج حيث دانت للغزنويين بعد هذه الفتح، كما كان أن أول فتوح السلطان الغزنوي في بشاور سنة 392هـ (36).

السبب الخامس: قمع أهل الفساد والمرتدين والعصاة وولاية الخبيث:

مثل تحرير بلاد الغور من أهل الفساد إلى الإسلام سنة 401هـ: وقد وصف المؤرخون بلاد الغور (37). (الأفغانية الوسطى حالياً) المجاورة لغزنة أنّها جبال صعبة، وكانت قديمة دار كفر منيعة إلى عهد الغزنوي، وكان زعيمهم يعرف بابن السوري، وأهلها بيض وسمر، وكانوا سيئي الطباع يخيفون الطرق، فسار إليهم السلطان محمود، وقاتلهم، وفتح قلاعهم وحصونهم، وأظهر في تلك البلاد شعار الإسلام، وجعل عندهم من يعلمهم شرائع الدين (38).

ومن ذلك حربه مع شكپال أحد أحفاد الملوك الذي أسلم ثم ارتد، فحينما فرغ الأمير محمود من هذه الحرب جاء الخبر أن شكپال أحد أحفاد الملوك- وكان قد وقع أسيراً- قد أسلم ثم ارتد في هذا الوقت، فاتجه الأمير محمود لحربه وقبض عليه في جبال كشنور، وقبل شكپال أن يدفع أربعمائة ألف درهم، وحبس شكپال وظلّ حتى مماته في هذا الحبس (39).

ومن أمثله محاربتة مع أهل سيستان اللذين شقوا عصا الطاعة: وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وصل الخبر من سيستان أن طوائف من أهل الفساد قدّموا عليهم رجلاً يجمعهم، وخالفوا على السلطان، وانتقضوا خليفته، فبادر إليهم في عشرة آلاف من نخب العسكر، ولما وصل إلى هناك تحصّن قواد السحز (السكز) جميعاً بحصن ارك (ارك)، ونشبت الحرب فظهر عليهم، وملك حصنهم، واستقرّ ملكها عليه، وقبض على زعيمهم، فأتى السكز كلهم طائعين (40).

ومثل تأديبه الجت وبخاطيه بفعلهم سوء الخلق: وكان سبب آخر فتح الغزنوي في الهند سنة 418هـ مع الجت وبخاطية بفعلهم سوء الخلق. كما يحكيه الكرديزي وابن الأثير: وكان في قلب الأمير محمود من الجت في الملتان وبخاطيه غضب عظيم بسبب ما فعلوه من سوء الخلق في طريق السومنا، وأراد أن يجازيهم على فعلتهم ويؤدّبهم، وبخاطية وراء المولتان، وصاحبها يعرف ببجيرا، وهي مدينة حصينة، عالية السور، فامتنع صاحبها بها، ولما عاين ذلك أخذ جماعة من ثقافته وسار إلى رؤوس تلك الجبال، فسير إليه يمين الدولة سرية، فلم يشعر بهم بجيرا إلا وقد أحاطوا به، فلما أيقن

بالحلاك أخذ خنجراً معه، فقتل به نفسه (41).

كما أنه قصد الملتان لخبث واليهما وسوء اعتقاده ودعوته إلى رأيه أهل بلاده، كما يحكيه اليميني: "قد كان بلغ السلطان يمين الدولة حال والي الملتان أبي الفتوح في خبث نحلته، ورجس اعتقاده، وقبح إلحاده، ودعائه إلى مثل رأيه أهل بلاده. واستخار الله في قصده، لاستتابته (42).

ويذكر الكرديزي هذا القصد وسببه: "وذهب إلى هناك واستولى على كل ما بقي من الملتان، وقبض على أكثر القرامطة الذين كانوا هناك، وقتل بعضهم، وفي هذا العام قبض على داود بن نصر وأحضره إلى غزني، ومن هناك أرسله إلى قلعة غورك حتى لقي حتفه في هذه القلعة" (43).

كشف شبهة إكثار قتل الهنود وبعض المبالغات فيه عند بعض المؤرخين:

ومن أمثلة المبالغات ما ذكره العتيبي: "فأوسعوا قتلاً وأساراً، ولعلّ عدد القتلى وعدد الغرقى يزيد على خمسين ألفاً" (44)، وما حكى ابن الأثير دخول الغزنوي إلى مدينة في الهند، ويقول: "وقد عمّ المجاهدون هذه المدينة بالإحراق، فلم يبق منها إلا الرسوم، وبلغ عدد المهلكين من الهند خمسين ألفاً، وأسلم منهم نحو من عشرين ألفاً، وأفرد خمس الرقيق فيبلغ ثلاثاً وخمسين ألفاً" (45).

ومن أمثلة التعبير المبالغ فيه، وتغيير واقع الحادثة ما أورده ابن الأثير بقوله: "وقد عمّ المجاهدون هذه المدينة بالإحراق، فلم يبق منها إلا الرسوم"، وأورده الكرديزي بقوله: "وكانوا يجتثون كل مكان فيه معبد ويجرقونه"، وابن الأثير ناقل لهذه الحوادث، فلا يبعد أنه أخطأ في نقله، أو بالغ في تعبيره.

فيذكر الكرديزي: "وحينما وصل الأمير محمود إلى قلعة ماتوره لم يتقدّم أحد لحره مطلقاً، فأمر أن يدخل الجيش في تلك الولاية، وكانوا يجتثون كل مكان فيه معبد ويجرقونه"، ويقول أيضاً: "وعبر الأمير يمين الدولة النهر وهزم الجيوش مجتمعة، وهرب تروچنپال مع نفر من الهنود، ... ثم قصدوا مدينة باري، فوجدوا المدينة خالية من الناس، فأحرقوا المعابد كلها" (46).

وما يُظلل هذه الشبهة أن تشابك الجيوش خلال أربع وعشرين سنة لم يقع إلا في بضعة معارك فقط؛ مثل معركة بشاور 392هـ وسومنا 416هـ. فغزوة بشاور جمع فيها جييال إثنين وأربعين ألفاً، لكن قُتل فيها خمسة آلاف كما يذكر عبد الحي الكرديزي: "ونزل في مدينة پرشاور على رأس عشرة آلاف غازي؛ وفي مواجهة محمود نصب جييال ملك الهند معسكراً، وجلب للحرب اثني عشر ألف فارس وثلاثين ألف مترجل، ودارت رحى الحرب، فوهب الله النصر للمسلمين، وظفر الأمير محمود بالنصر، وقهر جييال، وقتل المسلمون منهم خمسة آلاف كافر، وأسروا جييال مع خمسة عشر من أبنائه وإخوته" (47).

وأما أغلب الغزوات فلم يتقدّم فيها أمامه أحد وتمّ الفتح فيها بدون القتال: ومن أمثلة ذلك ما قصد الأمير يمين الدولة نندا، واستقبل نندا تروچنپال لينصره، لكن حينما وصل خبر مجيء السلطان محمود عبر تروچنپال الكنج، وعبر الأمير يمين الدولة النهر، وهزم الجيوش مجتمعة، وهرب تروچنپال مع نفر من الهنود، ولم يتقدموا أمام السلطان محمود، ثم قصدوا مدينة باري فوجدوا المدينة خالية من الناس، فأحرقوا المعابد كلها وغنموا كل ما وجدوه. ومن هناك ذهبوا إلى قلعة ماتوره، حينما وصل الأمير محمود إليها لم يتقدم أحد لحره مطلقاً، فأمر أن يدخل الجيش في تلك

ومن أمثله هروب نندا مع أكبر جيش من ساحة القتال ليلا سنة 410هـ، كما يذكر الكرديزي: "ومن هناك قاد السلطان محمود جيشا إلى ولاية نندا، وعلم نندا بخبر مجيء جيش الإسلام، فتهيا للحرب وجمع جيشا كبيرا، وحينما اقترب الأمير محمود منه نزل وعبأ الجيش، ... وأرسل رسولا إلى نندا ونصحه وتوعده، كما أرسل إليه الرسائل مهددا ومنذرا، فأجاب نندا: لن يكون لي معك أمر غير الحرب.... وحينما جن الليل قذف الله تعالى الرعب والفرع في قلوب نندا فجمع الجيش وهرب" (49).

ثمّ التشديد في القتل لم يحدث إلا حسب المصالح والظروف، ففي عام اثنين وأربعمائة قصد تانيسر، وحينما علم تروچنپال ملك الهند تكدر، وأرسل رسولا إلى الأمير محمود (يقول له): لو تخلّيت عن هذا العزم، ولم تأت إلى تانيسر سأعطيك خمسين فيلا من خيار الفيلة، فلم يعبأ الأمير محمود لهذا الكلام، وذهب ووصل إلى ديره رام، فخرج أهل رام على الطريق، وكان به غابات كثيفة، وقبعوا في الكمائن، وقتلوا كثيرا من المسلمين. وحينما وصل إلى تانيسر كان أهلها قد أدخلوها (50).

جبال "هندوكوش" وشبهه تسميته لقتل المسلمين الهنود:

جبال هندوكوش سلاسل جبلية شاهقة كأنها فقار ظهر تمتد على الطول من المشرق إلى المغرب، فتمرّ على التبت والأترك وبذخشان ثم طخارستان إلى الغور وغزنة، وحين يعطف هذا الجبل من حدود بلخ في حدّ طخارستان، ينشعب إلى عدة شعب صغيرة وكبيرة في حدود طخارستان وبنجهير والباميان (51).

وسمّي بـ "هندوكوش"، أي قاتل للهنود لشدة البرد وكثرة الثلج، لأن الثلج يقع فيه أكثر السنة، ويحتوي على معبر يسمى "سالنك دره"، وهذا المعبر وصفه ابن بطوطة خلال رحلته من بلخ إلى كابل، وقد أقام أربعين يوما خوف الثلج ليتمكن من عبوره، فيقول: كان أيضا من أسباب إقامتنا خوف الثلج، فإن بأثناء الطريق جبلا يقال له هندوكوش، ومعناه قاتل الهنود لشدة البرد وكثرة الثلج، وهو مسيرة يوم كامل وأقمنا حتى تمكنا من دخول الحر... إلى أن صعدا جبال هندوكوش المذكور (52).

فهذا الجبل مانع من تمكن عبور الهنود وحرهم مع الأترك بينهم وبين الهند عداوة وحروب، وقد ذكر المقدسي م 355هـ عداوة أهل بلخ والهند عند ذكر الثغور وما لكل قوم عدوا: "فلأهل الشام عدوهم الروم، ... وعدو أهل كرمان البلوص وعدو أهل بلخ وباميان وجوزجان الهند" (53).

ويذكر أبو الحسن المغربي: "وفي شمالي سجستان، بلاد طخارستان، وفي أطرافها أنهار ومروج تسكنها أجناس الترك ويتحاربون عليها مع الهنود، فإنها تليهم من جهة الجنوب" (54).

أو سمّي بـ "كوش" اسم بلخ القلتم، وهو بين الهند وبلخ، فسمّي جبل "هند وكوش" (55). أو سمّي "هند كوش" باسم كوش بن حام، وهو أبو السند والهند (56).

المبحث الثاني

خطوات ومعالم دعوية إسلامية لفتوح الغزنوي

السكان في بلاد المفتوحة إما يرضون بالصلح ويعتقون الإسلام ظاهرياً، وهذا في بداية الأمر، وإما يُغلبون بالحرب، فيتّم الفتح العسكري بواسطة المهمة العسكرية، لكن ذلك لا يضمن البقاء على الإسلام ما لم يتّم الفتح معنوياً، بل قد ينقضون العهد أو يرتدون عن الإسلام إذا انصرف الجند المسلمون. وهذا يظهر بوضوح مدى ضرورة أن يكون الفتح معنوياً، وليس عسكرياً فحسب، وذلك يحتاج إلى خطوات للفتح المعنوي في المنطقة عند المهمة العسكرية وبعدها، كي تكون وسيلة لفتح القلوب بالإيمان⁽⁵⁷⁾.

والفتح المعنوي للهند في عهد الغزنوي يشير إليه المؤرخ العتيبي الذي عاش في عهده وعهد أبيه⁽⁵⁸⁾ بقوله: "قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة لما استصفي نواحي الهند إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية، ولم تتل بما قط سورة أو آية، فرحض عنها أدناس الشرك، وقشع دونها أغباش الكفر، وبنى بما مساجد يقوم فيها دعاء الله بالأذان الذي هو شعار الإيمان، رأى أن يطوي تلك الديار إلى واسطة الهند منتقماً لله ممن يجحد توحيد، ويضع لعبادة الأنداد من دونه تعالى خده ووريده، ومحكّماً فيه سيوفاً طبعت على غرار الإسلام، وسقيت بماء الإيمان"⁽⁵⁹⁾.

التخيير قبل القتال بين الإسلام والطاعة وإطلاق ملك أسير إظهاراً لعظمة الإسلام:

ويدلّ على ذلك ما خيّر محمود قبل قتال نندا كما يحكيه الكرديزي: "وأرسل رسولاً إلى نندا ونصحه وتوعده وبصره، كما أرسل إليه الرسائل مهدداً ومنذراً: أسلم تسلم من هذه الحرب وهذه المحنة وهذا الفساد"⁽⁶⁰⁾. كما أسر الغزنوي بعض ملوك الهند، وهو ملك كواشي حين هرب منه لما افتتحها، وكسر أصنامها، فألبسه منطقة، وشدّها على وسطه بعد تمتع شديد، ثم أطلقه، إهانة له وإظهاراً لعظمة الإسلام وأهله⁽⁶¹⁾.

الصلح مع من أطاع أو أعلن إسلامه والعدول عن غزوهم:

كان يمين الدولة كلّ ما أراد الحرب على بلد يختار صاحبه قبل القتال بين الإسلام والطاعة، فإذا أطاعه ويقبل الصلح، يعطيه الأمان، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أولاً: طلب أهل قلعة بهيم نكر الأمان بعد حرب ثلاثة أيام سنة 388هـ: وذلك بعد ما تبع السلطان محمود خلف أبرهمن بال، حتى بلغ قلعة بهيم نغر، وحاصرهم، فنازلهم يمين الدولة وقتلهم، فلما رأى الهنود كثرة جمعه، وزحفهم إليهم على القتال، خافوا وجبنوا، وطلبوا الأمان، وفتحوا باب الحصن، وملك المسلمون القلعة⁽⁶²⁾.

ثانياً: الصلح مع قائد قلعة نندنه سنة 404هـ: فقد حكى الكرديزي قصد السلطان محمود ولاية نندنه ومحاصرة قلعتها، وصلح أهلها: "ولما علم تروجنپال ملك الهندوستان عيّن حراساً على القلعة، أما هو فقد ذهب إلى وادي كشمير، وأخذ جيش الأمير محمود مكاناً في نندنه، وحفر الحفارون سرداباً تحت الأرض، ومن حوائط القلعة رمى الترك السهام، ولما رأى أهل القلعة هذه الحرب طلبوا الأمان في الحال وسلموا، وذهب الأمير محمود مع عدد من خاصته إلى القلعة، وحملوا ما فيها من مال وسلاح"⁽⁶³⁾.

ثالثاً: طاعة أهل حصن بدنة budhan: كما يحكي العتيبي والكرديزي طاعة أهل هذه القلعة من ولاية هردب، أحد ملوك الهند، بعد أن هرب، وترك قومه، وتحصّن أهلها، ورأوا جيش الإسلام، فتزلزلت أقدامهم، وأشفقوا

من أن يستباح دمهم، فأروا أن يتقوا بالإسلام بأس الله، فوسطوا أناسا، ونزل نحو عشرة آلاف منادين بدعوة الإسلام، متفادين عن ولاية الأصنام، واشتروا أنفسهم بدفع المال (64).

رابعاً: إعطاء الأمان لـ "بكوره" أمير الحدود قنوج، حيث يحكي الكرديزي ذهاب السلطان إلى قنوج سنة 409هـ: "ولما وصل إلى حدود قنوج أرسل بكوره أمير الحدود رسولا، وأظهر الطاعة والولاء وطلب الأمان فأمنه السلطان محمود" (65).

خامساً: تسليم قائد قلعة گواليار (gwalior) وصلاح ملك نندا بالجزية سنة 413: وعندما دخل عام ثلاثة عشر وأربعمائة قصد الأمير محمود ولاية نندا، فلما وصل إلى قلعة گواليار أحاط بها وحاصرها، وأمر الجيش فطوّق جميع جوانبها لشدة منعتها وقوة إحكامها، ولكثرة ما بها من الحجارة الصلدة شديدة المنعة، وأرسل قائد القلعة رسولا يطلب الصلح، وأعطى خمسة وثلاثين فيلا، ورجع جيش يمين الدولة من هناك.

كما ذهب نحو قلعة كالنجر (kalinjar) حيث قلعة نندا، وكان نندا في هذه القلعة بكامل حشمه وأقربائه، وأمر الأمير محمود، فطوّق جيشه القلعة من جميع جوانبها، وظلّ يفكّر، لأن القلعة كانت على مكان منيع مرتفع لا طريق للحيلة إليه، كما كان بناء القلعة من الحجر الصلد فتعدّر حفره أو قطعه، وقضى عدة أيام هناك، وحينما نظر نندا، ورأى هذا الجيش الكثيف، وسَطَّ رسلا تحدّثوا في أمر الصلح، واتفقوا على أن يدفع نندا جزية، وسرّ نندا سرورا بالغا لهذا الصلح (66).

ملوك الهند الذين أطاعوا وأسلموا:

1- إسلام صاحب مدخل كشمير جنكي بن شاهي وملك هودت سنة 407هـ: ولما اعترزم محمود على غزو الهند سنة تسع وأربعمائة، وكان قد أذّل بلادها كلها، ولم يبق عليه إلا كشمير، فاستنفر الناس من جميع الجهات، وسار تسعين مرحلة، وعبر نهر السند وجيلم، فلما بلغ مدخل كشمير جاءه صاحبه چنكي بن سمهي، وأسلم على يده، فأقرّ بالطاعة، وهو خلال ذلك يفتتح القلاع (67).

2- إسلام ملك قيرات (سوات) عام 411هـ/1018م: يذكر الكرديزي أن السلطان حينما رجع من فتح نندا أخبروه عن واديين؛ قيرات ونور، وهي أماكن محكمة، وأهلها كفار، وعبدة أصنام، فقصدتهما بجيش، كما أمر فرافق الجيش عمال كثيرون من الحدادين والنجارين وقاطعي الأحجار، فعبّدوا الطرق وقطعوا الأشجار والأحجار، وحينما وصلوا إلى هناك قصدوا قيرات أولا، وقيرات مكان مقدّس وهوؤها بارد، وفاكحتها كثيرة، وحينما علم ملك قيرات قدم طائعا وطلب الأمان؛ فاستقبله الأمير محمود استقبالا حسنا يليق به، وأسلم ملك قيرات، كما أسلم كثير من أهل قيرات، واستقبلوا الأساتذة، وبدأوا في تعلّم شرائط الدين والعمل بالشرعية (68).

3- إسلام صاحب قلعة بزنة أو بذنة الذي يحكي إسلامه العتي بقوله: "قلعة برنة من ولاية هردب، وهو أحد الرايان أعني الملوك بلغة الهند، فاطلع على الأرض اطلاعة، وهي تموج بأنصار حق الله، فترلزت قدمه، وأشفق من أن يستباح دمه، فرأى أن يتقي بالإسلام بأس الله. ونزل في نحو عشرة آلاف منادين بدعوة الإسلام، متفادين عن ولاية الأصنام، فحقق الله ميعاده، وأحسن بفضله إسعادهم وإسعاده" (69).

وكان من أولاد ملوك الهند من أسلم ثم ارتد، مثل نواسه شاه الذي كان قد أسلم على يد الغزنوي،

أسباب فتوح الغزنوي في الهند ومعالمها الدعوية

واستخلفه على بعض ما افتتحه من بلادهم، لكنه ارتد عن الإسلام، فلما بلغه ذلك، سار إليه مجدداً، وحين قاربه فرّ الهندي من بين يديه، واستعاد السلطان تلك الولاية، وأعادها إلى حكم الإسلام (70).

ومن هؤلاء شكپال أحد أحفاد الملوك، وكان قد وقع أسيراً قد أسلم، ثم ارتد في هذا الوقت، فلما جاءه الخبر اتجه لخرية وقبض عليه في جبال كشنور، وقبل شكپال أن يدفع أربعمئة ألف درهم، وحبس شكپال وظلّ حتى مماته في هذا الحبس (71).

إسلام أهل بعض بلاد الهند:

أ- إسلام زهاء عشرين ألف نفس من أهل قلعة سرساوة حين سار إليها سنة تسع وأربع مئة، وفتحها، وكان صاحبها يعدّ من أعيان كفارهم، فهرب ملكها، ونجا بنفسه وحيداً، وترك عساكره وأتباعه في حصنه، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فلاذوا بطلب الأمان، وحقنوا دماءهم بقبول الإيمان، وأسلم من أهلها زهاء عشرين ألف نفس من عباد الأوثان (72).

ب- دخول كثير من الكفار في الإسلام بعد فتح نندا: ولما اتجه إلى وادي كشمير حيث يوجد تروچنپال، وهرب تروچنپال حينما علم، فأمر الأمير محمود أن يستولوا على كل القلاع التي في وادي كشمير، ودخل كثير من الكفار في الإسلام (73).

ج- إسلام أهل قيرات واستقبالهم الأساتذة لتعلم الدين: وحينما قصدوا قيرات، وهو مكان مقدس، وهوؤها بارد، وفاكحتها كثيرة، وحينما علم ملك قيرات قدم طائعا وطلب الأمان؛ فاستقبله الأمير محمود استقبالا حسنا يليق به، وأسلم ملك قيرات كما أسلم كثير من أهل قيرات مقتدين في ذلك بملكهم، واستقبلوا الأساتذة، وبدأوا في تعلم شرائط الدين والعمل بالشرية (74).

بناء المساجد في البلاد المفتوحة والاهتمام لتعليم شرائط الإسلام:

وبعد أن فتح السلطان محمود قلعة ننندنه في سنة أربع وأربعمئة، وهرب تروچنپال ملك الهندوستان نحو وادي كشمير، وأخذ جيش المسلمين مكانا في ننندنه، ودخل كثير من الكفار في الإسلام، وأمر السلطان في هذا العام أن يشيدوا المساجد الجامعة في كل مكان فتحوه من بلاد الكفار، وأمر أن يرسلوا الأساتذة في كل مكان حتى يعلموا الهنود شرائط الإسلام، أما هو فرجع مظفرا منصورا إلى غزنین (75).

حكى لنا الكرديزي أمر السلطان بإقامة بعض الشعائر الإسلامية بعد فتح سومنات: "وأمر الأمير محمود، فصعد المؤذن على أسطح المعابد وأذن للصلاة، وحطم هذه الأصنام وأحرقها وأبادها، واقتلعوا الصنم منات من جذوره وفتتوه ووضعوا بعض أحجاره على أظهر الدواب وأحضرها إلى غزنین، وهي ملقاة حتى الآن على أبواب مسجد غزنین، وكان هناك كنز تحت الأصنام فاستولوا عليه" (76).

كما يدلّ على ذلك اهتمامه بتعليم من أسلم من أهل بهاطية عند غزوه سنة 418هـ مع الجت وبهاطية بفعلهم سوء الخلق عند رجوعه من سومنات، وأراد أن يجازيهم على سوء فعلتهم ويؤدبهم، وأقام بهاطية حتى أصلح أمرها، ورتب قواعدها، ونصب بها من يعلم من أسلم من أهلها سنن الإسلام، ويبين لهم طرق الحلال والحرام (77).

فسخ الإسلام أكثر عادات أهل الهند الذين أسلموا:

يذكر البيروني عادات أهل الهند مثل وضع الصندلة مخالفة لوضعها الحقيقي أعني اليمنى للرجل اليسرى، وطي الثياب مقلوبة، وإفراش الفرش معكوسة، ثم ذكر البيروني أن سببها انعكاس الطبيعة في الغريزة، وأن الإسلام فسحها بحمد الله أكثر ما في أهل الهند من عادات ورسوم. (78).

محاربته مذهب الباطنية والقرامطة:

وذلك بعد ما قدم يمين الدولة إلى الري، واستولى على المدينة، ورووا عن الأمير محمود أنه كان في مدينة الري وضواحيها أناس كثيرون على مذهب الباطنية والقرامطة فأمر بإحضار من اتهموا بهذا المذهب ورجموهم بالحجارة، وقتل كثيرا من أهل تلك المذاهب، وقيد بعضهم وأرسلهم إلى خراسان فماتوا في سجونهم وقلاعهم. وكان فتح الري في جمادى الأولى سنة عشرين وأربعمائة (79).

كما منع الرسول - يحمل دعوة ملك مصر، وهو على مذهب الباطنية- أن يمثل أمامه: وأيضا قدم في هذا العام رسول عزيز مصر وكانوا يسمونه التاهرتي، وحينما وصل بالقرب من خراسان، فلما سمع محمود هذا الخبر لم يدع هذا الرسول يمثل أمامه، وأمر أن يسلموه إلى حسن بن طاهر بن مسلم العلوي، فضرب ابن طاهر عنقه في مدينة بست (80).

تسهيل الطرق لمن جاء بعد الغزنوي من الدعاة:

أزالت فتوح الغزنوي العوائق في طريق الناس إلى الإسلام، ومهدت للدعوة إلى جانب الهند طريقا سلكها الدعاة اللذين قاموا بجهود بارزة لدعوة الناس إلى الإسلام، ومن أمثال هؤلاء الشيخ علي بن عثمان بن أبي علي أبو الحسن الغزنوي، المحجوري، الإمام العالم، قُدوة أهل الطريقة، صاحب "كشف سر المحجوب لأرباب القلوب"، ولد في أواخر القرن الرابع، وتوفي سنة خمس وستين وأربعمائة (81).

ويظهر من ذلك أن الشيخ علي المحجوري كان في بداية شبابه حين توفي السلطان الغزنوي، وأنه أنه جاء إثر فتوح محمود الغزنوي، فكأنه وجد آخر عهد السلطان محمود، لأنه عاش في هذا العهد (82).

نتائج البحث:

- أول من وطئ أرض الهند من المسلمين المهلب بن أبي صفرة، أمّا أرض السند فافتتحها محمد بن القاسم إلى الملتان، ولم يتجاوز بعده من الغزاة حدود كابل وماء السند أحد إلا الغزنويون.
- استمرّت فتوح السلطان محمود لبلاد الهند عشرين سنة بدءاً من بشاور إلى قنوج غرباً، وإلى السند وغوجرات جنوباً. وكان محمود عاقلاً، عادلاً، ملازماً للجهاد، وقهر ملوك الهند قهراً كبيراً.
- كانت في الهند ملوك متعدّدة، وكانت بينهم حروب، والغالب عليها الكفر سوى المنصورة والملتان. واختلفت ملل أهل الهند، والأكثر يقول بالتناسخ، وهو علم النحلة الهندية ويختلفون في فروع دينهم.
- كان هدف الغزنويين الأساسي إزالة العوائق عن الطريق إلى الإسلام، ويظهر ذلك من اقتحامه في مفازة "تھر" الواسعة الأطراف، ومن غزوه لأودية قيرات ونور صعبة الطرق وغيرها من الغزوات.

أسباب فتوح الغزنوي في الهند ومعالمها الدعوية

- وما تُثار من شبهة كون الناحية الاقتصادية الدافع الأساسي فُتْظَلِّها طبيعته الشخصية ومواقفه العسكرية والشهادات التاريخية. وأما إزالة بعض المعابد، فكان حسب المصالح الدينية والعسكرية.
 - وكان من أسباب فتوحه في الهند غدر جيبال وتحرير البلاد من سيطرته. ومنها كون بلاد خراسان عرضة لهجمات الهنود المخاربين. ومنها قمع أهل العصيان، مثل أهل الغور وأهل سيستان ووالي الملتان.
 - وأما شبهة إكثار قتل الهنود، فهناك بعض المبالغات فيه عند بعض المؤرخين. ثم تشابك الجيوش لم يحدث إلا في بضعة معارك فقط، كما أن الإكثار من القتل كان في بعض المواقف حسب الظروف.
 - وشبهة تسمية جبال "هندو كُش" لقتل المسلمين الهنود، فباطلة لأنه سُمِّيَ به لكونه مانعا للهنود من تمكن عبورهم وحربهم مع الأتراك لشدة البرد وكثرة الثلج. أو سُمِّيَ بـ "هند و كوش"، و "كوش" اسم بلخ القديم، فمعناه جبل هند وبلخ، أو سُمِّيَ "هند كوش" باسم كوش بن حام، وهو أبو السند والهند.
 - كان هدف الفتوح إزالة العوائق عن الطريق إلى الإسلام. وتتجلى خطواته في تخيير الناس قبل القتال بين الإسلام والطاعة، وعدوله عن حرب من أعلن إسلامه، وإعطاء الأمان لمن أطاع والصلح معهم.
 - كما تظهر من استخلافه بعض أولاد ملوك الهند على ولايته، ورغبة بعضهم في الإسلام وطلبهم من يعلمهم، ودخول كثير من الكفار في الإسلام.
 - أما المعالم الدعوية للفتوح، ففي صورة بناء المساجد والاهتمام بالأساتذة للتعليم، والأمر بالأذان على أسطح المعابد للصلاة بعد فتح سومنات، وفسخ الإسلام أكثر عادات أهل الهند الذين أسلموا.
- كما يظهر من طاعة ملوك الهند وإسلامهم، مثل: إسلام صاحب مدخل كشمير وصاحب قلعة بدنة وملك هودت، وملك قيرات، وإسلام زهاء عشرين ألف نفس من أهل قلعة سرساوة.
- هذا وبالله التوفيق



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الهوامش (References)

- 1- الكرديزي، عبد الحي، زين الاخبار، عزبه الدكتور زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٤٣، وسبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف، مرآة الزمان، تحقيق: جماعة من المحققين، دار الرسالة، دمشق، ٢٠١٣م/ ١٣٣٢هـ، ج:١٨/ص٣٦٣، ٣٦٥، وابن الأثير، علي الجزري، الكامل في التاريخ، المحقق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م-١٣١٤هـ، ج٣/ص٢٠٣.
- 2- خليفة، أبو عمر الليثي، تاريخ خليفة، المحقق: الدكتور أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٤هـ، ص٣٩، وابن الأثير، الكامل ج:٢/ص١٢٢.
- 3- البتلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٣٢٠.
- 4- البيروني، محمد الخوارزمي، تحقيق ما للهند، عالم الكتب، بيروت، ١٣٠٣هـ، ص ١٩.
- 5- مدينة السند، سميت باسم الخليفة المنصور حيث بنيت في خلافته، وقيل سميت باسم منصور عامل بني أمية، ابن حوقل البغدادي، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م، ج:٢/ص٣٢٠، واصطخري، المسالك والممالك ص ١٠٣.
- 6- راجع: المسعودي، مروج الذهب ج:١/ص٢٩، واصطخري، إبراهيم الفارسي، المسالك والممالك دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ١٠٢، الإدريسي، محمد بن محمد الحسيني الطالبي، نزهة المشتاق، عالم الكتب، بيروت، ١٣٠٩هـ، ج:١/ص١٤٥، ٣٨٥.
- 7- راجع: المسعودي، مروج الذهب ج:١/ص٢٩، والبيروني، تحقيق ما للهند ص ٣٩.
- 8- البيروني، تحقيق ما للهند ص ٤١.
- 9- ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمداني، البلدان، حققه: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م/١٣١٦هـ، ص ٤١، والسيرافي، رحلة السيرافي ص ٨٣.
- 10- البيروني، تحقيق ما للهند ص ١٣٠.
- 11- انظر: الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٢٣، ٢٢٥، والعتبي، أبو نصر، محمد بن عبد الجبار، تاريخ العتي، المحقق: الدكتور إحسان عبد اللطيف، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٣م-١٣٢٣هـ، ص ٣٤.
- 12- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٣٣.
- 13- العمري، أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٣٢٣هـ، ج:١٢/ص١١٤.
- 14- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٦٨.
- 15- ابن الأثير، الكامل ج:٤، ص:٦٨٥.
- 16- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٦٩.
- 17- المرجع السابق ص ٢٦٩.

- 18- ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج:٤، ص:٥٢٢.
- 19- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، الدمشقي، البداية والنهاية، المحقق: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، ١٩٩٤م-١٣١٨ هـ، ج:١٥، ص:٦١٦.
- 20- سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ج:١٨، ص:٣٢٦.
- 21- البلاذري، فتوح البلدان ص ٣٨٢.
- 22- المرجع السابق ص ٣٠٤.
- 23- انظر: الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٥٤.
- 24- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م/١٣٠٨ هـ، ج:٢، ص:٢٩٢.
- 25- الساعاتي، د. أحمد، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، مكتبة الآداب، القاهرة، ج:١، ص:٩٦، ٩٤.
- 26- ابن الأثير، الكامل ج:٤، ص:٦٨٦.
- 27- القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد، دار صادر، بيروت، ص ٩٦.
- 28- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٦٩.
- 29- المرجع السابق ص ٢٦١.
- 30- ابن الأثير، الكامل ج:٤، ص:٦٨٥.
- 31- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ج:٢، ص:٣٤٣.
- 32- المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ ج:٢، ص:٩١، ٩٢، مكتبة الثقافة الدينية، بدون السنة.
- 33- المغربي، أبو الحسن، علي بن موسى، الجغرافيا ص ٣٤.
- 34- الإدريسي، نزهة المشتاق ج:١، ص:١٩٥.
- 35- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٣٣.
- 36- انظر: العتي، تاريخ ص ٢٤-٣٠، وابن خلدون، تاريخ ج:٢، ص:٣٦١، وابن الأثير، الكامل ج:٤، ص:٣٥٦.
- 37- جبال وولاية بين هراة وغزنة، الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج:٢، ص:٢١٤.
- 38- وابن الأثير، الكامل ج:٢، ص:١٣٨.
- 39- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٥٦.
- 40- انظر: العتي، تاريخ، ص ٢٢٣، وابن الأثير، الكامل ج:٤، ص:٥٢٩.

- 41- انظر: الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٤٠، وابن الأثير، الكامل ج:٤، ص:٥٣٩
- 42- العتي، تاريخ، ص ٢٨٢.
- 43- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٥٦، ٢٥٤.
- 44- العتي، تاريخ، ص ٣٠٥.
- 45- ابن كثير، البداية والنهاية ج:١٥، ص:٥٨٠.
- 46- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٦٠، ٢٦١.
- 47- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٥٣. ووافقت هذه الوقعة: يوم الخميس الثامن من المحرم سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة الموافق ٢٦ نوفمبر ١٠٠١م. الكامل في التاريخ ج:٤، ص:٥٢٣، وتاريخ فرشته (اردو) ج:١، ص:٢٢، (فارسي) ج:١، ص:٤٢.
- 48- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٦١.
- 49- المرجع السابق ص ٢٦٢.
- 50- المرجع السابق ص ٢٥٤.
- 51- انظر: ابن حوقل، صورة الأرض ج:٢، ص:٣٢٨، والبيروني، تحقيق ما للهند ص ١٣٠.
- 52- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة ج:١، ص:٣٠٢، دار الشرق العربي، بدون السنة.
- 53- المقدسي، البدء والتاريخ ج:٣، ص:٩١، ٩٢.
- 54- المغربي، أبو الحسن، الجغرافيا ص ٢٤.
- 55- يقال: بنى الإسكندر ثلاث عشرة مدينة وسمّاها كلها باسمه ثمّ تغيرت أساميها بعده، ... ومنها الإسكندرية التي سميت كوش وهي بلخ، ابن الفقيه، البلدان ص ٦١، الحموي، معجم البلدان ج:١، ص:١٨٣.
- 56- يذكر المقرئزي من أبناء حام: "الثاني: كوش بن حام، وهو أبو السند والهند. المواعظ والاعتبار ج:١، ص:٢٥، بتقييم الشاملة آليا. وقال الدّينوري م ٥٢٨٢: كان أولاد حام سبعة إخوة كأولاد سام: السند والهند والرّنج والقبط والحيش والنوبة وكنعان، فأخذوا ما بين الجنوب والدّبور والصّبا. الأخبار الطوال للدّينوري ص ٢.
- 57- انظر: طه، عبد المقصود، موجز عن الفتوحات الإسلامية دار النشر، القاهرة بدون سنة النشر، ص ١٥.
- 58- اشتغل بالكتابة للأمير أبي علي السيمجوري م ٥٣٨٤، ثمّ للأمير سبكتكين م ٥٣٨٤، ثمّ للسلطان محمود نفسه. مقدمة تاريخ العتي ص ٣.
- 59- تاريخ العتي ص ٣٣٥.
- 60- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٦٢.
- 61- ابن كثير، البداية والنهاية ج:١٥، ص:٥١٠.

- 62- ابن الإثير، الكامل ج: ٤، ص: ٥٥٤.
- 63- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٥٨.
- 64- انظر: تاريخ العتيبي ص ٢٠٣، والكرديزي، زين الاخبار ص ٢٦٠.
- 65- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٦٠.
- 66- الكرديزي، زين الاخبار، ص ٢٦٣.
- 67- تاريخ العتيبي ص ٢٠٢، وابن الإثير، الكامل ج: ٤، ص: ٦١٢، وتاريخ ابن خلدون ج: ٢، ص: ٣٤٢.
- 68- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٦٢، ٢٦٣.
- 69- تاريخ العتيبي ص ٢٠٣.
- 70- وابن الإثير، الكامل ج: ٤، ص: ٥٢٦.
- 71- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٥٦.
- 72- الحميري، محمد بن عبد الله، الروض المعطار، حَقَّقَه: إحسان عباس، مؤسسة ناصر، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٩١، ومراة الزمان ج: ١٨، ص: ٢٤٣.
- 73- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٥٨.
- 74- المرجع السابق ص ٢٦٣.
- 75- المرجع السابق ص ٢٥٨.
- 76- المرجع السابق ص ٢٦٩.
- 77- انظر: تاريخ العتيبي ص ٢٨١، ابن الأثير، الكامل ج: ٤، ص: ٥٣٩.
- 78- البيروني، تحقيق ما للهند ص ١٣٢.
- 79- الكرديزي، زين الاخبار ص ٢٤٣.
- 80- المرجع السابق ص ٢٥٤.
- 81- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، سلم الوصول إلى طبقات الفحول ١٠٦٤ هـ، ج: ٢، ص: ٣٤٣.
- 82- المحجوري، الشيخ علي، مقدمة كشف المحجوب، ترجمه إلى العربية محمود أحمد أبو العزائم، نشره جمعية أولي العزم الدينية بالقاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٤٣م، ص ٢.